المعالجات النبوية للسلوك الإنساني
[التربية والتعليم انموذجاً]

د. رباب ذياب عبد السامرائي
كلية الإمام الأعظم -رحمه الله- الجامعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وسلم، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وكرم .

أما بعد؛ فلقد أثبت القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ معلم للناس والبشرية جميعاً، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢).

والسنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم من مصادر التشريع الإسلامي، وهي في حقيقتها وحي الله تعالى إلى رسوله الكريم محمد ﷺ، ويعّرفها العلماء اصطلاحاً على: أنها ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وقد تنوعت القراءات العلمية للسنة النبوية طوال مسيرة الفكر الإسلامي وحضارة المسلمين، تنوعاً ذا ارتباطات ثقافية وميدانية، صدرت عن رؤى واعية، واتصال وثيق بالحياة، ومعالجة شمولية واقعية، تصدى لها حلية هذه الامة من أهل العلم والمصلحين ورواد المعرفة، فجاءت تلك القراءات النظرية والتطبيقية، لتستغرق ميادين العقيدة والفقه، والحديث

(١) سورة آل عمران، الآية :١٦٤ .

(٢) سورة الفتح، الآية : ٢٨ .

والتفسير، والتربية والفكر، والسياسة والاجتماع والتاريخ وغيرها، في مناسيب مختلفة حكمتها عوامل عدة، منها بقدرٍ تنظيرياً، وبقدر اكبر تطبيقياً .

ومن بين تلك الميادين النظرية التطبيقية التي شملتها تلك القراءة للسنة النبوية ميادين التربية وعلومه، واشتدت فاعليته جموداً في القرون المتأخرة والمعاصرة من حضارتنا الإسلامية لعوامل داخلية وخارجية شتى، الأمر الذي يتطلب مزيداً من الوعي بأهمية قراءة هذا الميدان نظرياً، وبمدى حاجة الأمة إليه اجتماعياً وحضارياً، والانكباب على المعالجات الميدانية والخطوات التنفيذية المتعلقة بهذا المطلب الإسلامي، باعتباره من القوى الأصيلة الدافعة باتجاه خط الصعود لهذه الأمة ونهوضها وترشيد مسيرتها وإعادة حضورها الرسالة الهادية بكل آلياتها ومعطياتها وتأثيرها في الساحة الذاتية وفي الساحة العالمية على حدً سواء .

وتعد التربية الإسلامية وسيلة فاعلة لبناء الفرد المسلم وإعداده من أجل القيام بالرسالة التي خلقه الله من أجلها وأدائها على الوجه الأكمل .

وتأتي أهمية الدراسة من كونها تقدم معالجة إسلامية أصلية تتصل بالسلوك الإنساني، من حيث ما يترتب عليه من منافع في منظور السنة النبوية الذي يعد موضوعها (السلوك) من الاركان الاساسية في مفاهيم نظريات التربية وعلم النفس واهتماماتها، لتغطي بذلك مساحة مهمة من حاجات الدراسات التربوية الإسلامية الكثيرة، وذلك بتقديمها رؤية تربوية إسلامية يمكن الإفادة منها في التطبيقات التربوية المختلفة.

وكلمة معالجة مأخوذة من كلمة عالج التي يعرفها علماء اللغة : عالج الشيء معالجة وعلاجاً، والمعالج : المداوي سواء عالج جروحاً او عليلاً او دابة [1]

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت : ٧١١ هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤ هـ)، ٢ / ٣٢٧ .

وما أحوجنا إلى التأسي برسول الله ﷺ في كل تصرفاته، فهو الكمال الإنساني بعينه، ومن منا لا ينشد الكمال، طبعاً لن نصل إلى الكمال المحمدي، ولكن حسبنا أن تكون خطواتنا على طريقه ﷺ، فإن زلت أقدامنا عدنا إليه سراعاً .

وفي ظل هذا المناخ الممتد الذي تفرضه طبيعة الرسالة الإسلامية، جاءت هذه المحاولة، في قراءة علمية لذخائر السنة وكنوزها، في سبيل تقديم رؤية إسلامية أصيلة في ترسيم العلاقة الطبيعية بين السلوك الإنساني وما يترتب عليه من منافع وذلك وفقاً لمنظور السنة النبوية المطهرة .

والهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تقديم معالجة علمية للسلوك الإنساني من خلال السيرة النبوية المطهرة وإمكان الإفادة منها تربوياً وتعليمياً، واشتملت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات وقائمة بالمصادر والمراجع .

المبحث الاول

تعريف السلوك ونظرة السنة النبوية للسلوك الإنساني

المطلب الأول

تعريف السلوك

السلوك لغةً : سلك : السين واللام والكاف، أصل يدل على نفوذ شيء، يقال: سلكت الطريق أسلكه وسلكت الشيء في الشيء، انفذته [١]، والسلوك مصدر سلك، والمسلك : الطريق [٢]، وقال الراغب [٣]: ((السلوك : النفاذ في الطريق، يقال : سلكت الطريق، قال تعالى : ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [٤]

السلوك اصطلاحاً : هناك تباين واضح بين النظريات النفسية والسلوكية في تعريف السلوك، ترجع لعوامل مختلفة، من أهمها : الرؤية الفلسفية للطبيعة الإنسانية، والرؤية التقويمية لإمكان قياس السلوك الإنساني وتعديله وعلاجه، وما يعني هذه الدراسة : الأخذ بالتعريفات الأكثر شمولية واتفاقاً مع التوجه الإسلامي لفهم الإنسان وطبيعته وسلوكه، ومن بين هذه التعريفات الآتي :

السلوك : كل الأفعال والتصرفات التي تصدر عن الفرد في مواقف الحياة المختلفة [٥]

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس اللغوية، تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م، ص ٤٩٠ .

(٢) ابن منظور، محمد، لسان العرب، تحقيق : عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا . ط، ٦ / ٥٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢ م، ص ٤٢١ .

(٤) سورة نوح، الآية : ٢٠ .

(٥) علي، علي أحمد، أساسيات سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، القاهرة، بلا . ط، ص ٢٦ .

السلوك : كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد، ظاهرة كانت ام غير ظاهرة [1].

السلوك : الانشطة والتفاعلات التي يقوم بها الفرد لتحقيق غايات معينة [2].

السلوك : الاستجابة الكلية التي يبديها الكائن الحي إزاء أي موقف يواجهه [3]

وكما يلحظ فإن هذه التعريفات تركز على فهمها السلوك على صورة الاستجابة الكلية التي تصدر عن الإنسان إزاء مواقف حياتية مختلفة .

حفلت الكتب التي عرضت السيرة النبوية المطهرة بإبراز دور الأسوة الحسنة المحمدية في المجالات العامة، ولا سيما ما أتصل منها بالدعوة، أو العبادات، أو الغزوات، وغير ذلك وأن السلوك المحمدي اليومي هو أهم مواطن الأسوة التي ينبغي أن نلح على العناية بعرضها دائماً على عامة المسلمين، وتعمق الاحساس لديهم بها، كتجارب معيشية حية، ذلك بالصورة التي تحرك طاقتهم الإيمانية نحو تنظيم معاملاتهم اليومية على بصيرةٍ سوية، وخُلق قويم .

وأنه لهو الأسلوب المنشود في تربية المسلم المعاصر الذي تُحيط به مرائي الفتن، ومهاوي الغفلة من كل مكان، مما يجعله في أمس الحاجة إلى التعرف الواعي بنبيه العظيم ﷺ، تعرفاً علمياً سلوكياً يعيش في حركات جوارحه في كل دقائق الحياة .

المطلب الثاني

---

(١) الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ٢٠٠٣ م، ص ١٧ .
(٢) سليمان، حسين حسن، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٤٧ .
(٣) العطاس، عبد الله بن أحمد، مفهوم السلوك الخُلقي، جامعة ام القرى، معهد البحوث العلمية، مكة، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٢٩ .

نظرة السنة النبوية إلى السلوك الإنساني

لا يجد الباحث في نصوص القرآن الكريم [١] و السنة النبوية ورود كلمة (السلوك) لا بلفظها المحدد، ولا بمعناها الاصطلاحي المعين، ولكن يجد لها اشتقاقات يكاد اكثرها يتكرر في لفظة سلك وبمفهوم لا يقترب من المفاهيم الحديثة المستعملة للسلوك، ومن اشهر هذه النصوص التي حملت لفظة سلك قوله ﷺ : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل له الله به طريقاً إلى الجنة)) [٢] وقوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ((والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك)) [٣] وقوله ﷺ : ((وسلك الناس وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار)) [٤]

وكما هو ملاحظ فإن معنى (سلك) كما في السياق، تشير إلى المشي في الطريق [٥]، فهو يتعلق بوصف النشاط الحركي للإنسان تحديداً .

أما السلوك بمعناه الاصطلاحي العام، فيعبر عنه في السنة النبوية كذلك في القرآن الكريم بمصطلح العمل، ويقصد به جميع الأفعال أو الاستجابات أو ردود الفعل التي

(١) ورد في القرآن لفظ (سلك) ومشتقاته دون لفظ السلوك اثنتي عشرة مرة، منها : سلك، لتسلكوا، فأسلكي ...، وأغلبها بمعنى : النفاذ في الطريق . عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٣٦ ؛ الراغب، مفردات الفاظ القرآن، ص ٤٢١ .

(٢) مسلم، بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، د، ط، كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم ٤٨٦٧ .

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧ م، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم ٥٦٢١ .

(٤) المصدر نفسه، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، رقم ٦٧٠٤ .

(٥) النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق : خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م، ١٧ / ٢١ .

تصدر عن الإنسان، سواء كانت ظاهرية أم باطنية، وسواء أكانت الأعمال صالحة أم غير صالحة [1]، قال الراغب : ((العمل كل فعل يكون بقصد ... والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة، قال تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [3] .

وكان رسول الله ﷺ يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وافضلها، واوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، واكثرها مساعدة على إيضاحه له، ومن درس كتب السنة وقرأها بإمعان رأى رسول الله ﷺ كان يلون الحديث لأصحابه الواناً كثيرة، فكان تارة يكون السائل وتارة يكون مجيباً، وتارة يجب السائل بقدر سؤاله، وتارة يزيد على ما سأل، وترة يضرب المثل لما يريد تعليمه وتارة يصحب كلامه القسم بالله تعالى، وتارة يلفت السائل عن سؤله لحكمة بالغة منه ﷺ [4]

وفي السنة النبوية قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) [5]، وقال البخاري مبوباً : باب ما جاء أن الاعمال بالنية والحسبة ...، فدخل الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والصوم والاحكام (المعاملات) [6]، وقوله ﷺ(خذوا من العمل ما تطيقون)[7]، وقوله ﷺ

(١) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥٨ .
(٢) سورة النساء، الآية : ١٢٣ .
(٣) سورة النساء، الآية : ١٢٤ .
(٤) ابو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ٦٤
(٥) البخاري، صحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم ١
(٦) المصدر نفسه، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الاعمال بالنيات .
(٧) المصدر نفسه، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، رقم ١٨٣٤ .

(إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ... وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ...) [1]، ومن الأحاديث التي تتضمن وصفاً لمساحة السلوك الإنساني وحقيقته المركبة، قوله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) [2] وهذه الشعب هي الأعمال أو السلوكيات منها الفعلي والقولي ومنها الباطني والظاهري .

وبذلك يظهر السلوك في السنة بأنه : كل ما يصدر من الإنسان من أعمال واقوال ظاهرة وباطنة، وعليه فالسلوك الإنساني في السنة النبوية المطهرة قسمان :

السلوك الظاهري ويشمل كل الأعمال والاقوال الظاهرة التي تصدر من جوارح الإنسان .

وإما السلوك الباطني فيشمل كل العمليات والاعتقادات والانفعالات التي تصدر عن قلب الإنسان وباطنه .

ويتلازم في السنة النبوية السلوك الظاهري والسلوك الباطني، ويمتزجان امتزاج الروح بالجسد، ويتأثر كل منهما بالآخر، كما يلحظ ذلك من قوله ﷺ : (ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب) [3] فلا يتحقق الإيمان بالقلب إلا إذا عملت الجوارح بأعمال الإسلام[4].

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى بأتباع سيدنا محمد ﷺ اليُسر ولم يُرد بهم العسر، عندما بعث فيهم رسولاً من أنفسهم هو في كل خطوة قدوة، وفي كل مجال مثال، فأجرى الله تعالى على يديه الشريفتين الاسلوب والسلوك الصحيح لمواجهة كل ما يمكن أن يعرض

(١) المصدر نفسه، كتاب أحاديث الانبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم ٣٠٨٥ .
(٢) مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم ٥١ .
(٣) البخاري، صحيح، كتاب الإيمان، باب فضل استبرأ لدينه، رقم ٥٠ .
(٤) ابن رجب، عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م، د . م، ص ٢٨ .

لبشر من أحداث، وهداه إلى القول الفصل، والمسلك العدل في كل ذلك، حتى يتيسر لنا النظر في الحلول عندما تعرض لنا المشكلات تأسياً بمواقفه ﷺ في كل أمرٍ من الأمور، ولو دق .

المبحث الثاني

المنفعة المترتبة على السلوك في السنة النبوية والمضامين التربوية

في طبيعة العلاقة بين المنفعة والسلوك

المطلب الأول

المنفعة المترتبة على السلوك في السنة النبوية

تنطوي السنة النبوية على رؤية واقعية ومتماسكة الجوانب فيما يتعلق بموضوع المنفعة، ومن مرتكزات هذه الرؤية الدليل إلى محددات المنفعة، والمقصود بمحددات المنفعة : العوامل المعتبرة من وجهة نظر السنة ذات الأثر في المنفعة، من حيث تحديد جنسها ومستواها أو مداها أو قدرها أو غير ذلك من متعلقات أوصافها .

وبعد النظر والتأمل في السنة النبوية المطهرة يمكن تعيين محددات المنفعة وتصنيفها لتنتظم الآتي :

أولاً : صحة المعتقد

وهذا محدد أساسي وأولي بالنسبة للمنفعة، فمن اتباع السنة النبوية لا يستقيم اجتماع المنفعة وتعييناً المنفعة الأخروية وانحراف المعتقد، إذ لا بد للسالك حتى يصل المنفعة مقابل ما يقدمه من سلوك أن يكون معتقده معتقداً إسلامياً سليماً، وقد جاءت أسس هذا المحدد للمنفعة واضحة في السنة النبوية، كما في حديث البراء رضي الله عنه قال : أتى

النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال : يا رسول الله أُقاتل واسلمُ، قال ﷺ : أسِلم ثم قاتل، فأسلم ثم قاتل فقُتل، فقال رسول الله ﷺ(عمل قليلاً وأُجر كثيراً)[1]، فهذا نص واضح في اشتراط صحة المعتقد أولاً وقبل السلوك المرجو نفعه وثوابه، وقد ظفر ((صاحب السلوك)) فعلاً بذلك، في حين أن هناك نصاً اخر يقدم الوجه الآخر، حيث فلتت فيه المنفعة من بين يدي صاحب السلوك لتخلف شرط العقيدة، فعن عب الله بن عمرو رضي الله عنه قال : إن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مئة بدنة، وإن هشام بن العاص نحر حصته خمسين بدنة، وان عمراً سأل رسول الله ﷺ عن ذلك، قال ﷺ: أما ابوك، فلو كان أقر بالتوحيد، فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك [2]، وعن عائشة ﷺ قالت : قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه، قال ﷺ : (لا ينفعه إنه لم يقل يوماً : رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين) [3]، قال النووي : معنى هذا الحديث: أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة، لكونه كافراً، وهو معنى قوله ﷺ : (لم يقل رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي لم يكن مصدقاً بالبعث، ومن لم يصدق به كافر، ولا ينفعه عمل، قال القاضي عياض : وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم اعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب [4] .

وقد نبهت السنة النبوية جميع السالكين إلى ضرورة استكمال شرط صحة المعتقد لأجل وقوع المنفعة، كما في قول سيدنا رسول الله ﷺ : (خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة

---

(١) البخاري، صحيح، كتاب الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال، رقم : ٢٥٩٧ .

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥ م، دار الحديث رقم ٦٤١٧ .

(٣) مسلم، صحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم، ١/ ٣٥٨ .

: من حافظ على الصلوات الخمس ...) [1]، كما جاءت مراعاتها لهذا الشرط وتطبيقاته في عديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتضمن سلوكيات مختلفة دعا إليها الشارع ورتب عليها المنافع، من ذلك قوله ﷺ : (انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا لإيمان بي وتصديق برسلي أن ارجعه بما نال من اجر أو غنيمة، أو ادخله الجنة) [2].

ومما يتضمنه صحة المعتقد، باعتباره محدداً من محددات المنفعة، التصديق بموعود المنفعة المترتبة على السلوك، فلا بد من أن يصدق ويوقن صاحب السلوك بأن ما وعده الله تعالى عليه من منافع معينة جراء قيامه بسلوكيات معينة كذلك، وهو امر متحقق ونافذ بأذن الله تعالى، وهذا فيه مراعاة للجانب النفسي للشخصية التي ينبعث منها السلوك .

وقد جاء هذا التحديد في السنة النبوية في أحاديث عديدة، منها قوله ﷺ : (أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة) [3] .

ثانياً : السلوك السوي المقبول (إخلاص القصد وموافقة الشرع)

من محددات المنفعة التي اكدتها السنة النبوية إخلاص القصد، بمعنى : حتى ينال صاحب السلوك المنفعة المترتبة (تحديداً الاخروية) على قيامه بالسلوك لا بد من أن يخلص نيته لله تعالى، فيقصد مرضاته سبحانه ورجاء ثوابه، وإلا فقد السلوك تلك المنفعة المقررة له .

والأصل العام المقرر لهذا المحدد قوله ﷺ : ((أنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى))، فقوله : (وإنما لكل أمرئ ما نوى) فيه تحقيق لاشتراط النية والإخلاص في

(١) أبو داود، سليمان، السنن، دار الفكر، د . ط، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، رقم ٣٦٥ .

(٢) البخاري، صحيح، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، رقم ٣٥ .

(٣) البخاري، صحيح، كتاب الهبة، باب فضل المنيحة، رقم ٢٤٣٨ .

الاعمال [١] كما أفاد مقتضاه (أن من نوى شيئاً يحصل له وكل ما لم ينوه لم يحصل له)) [٢] .

وقد جاء مطلب هذا المحدد في مواطن عديدة تضمنت تقديم منافع مشروطة بإخلاص القصد في أداء السلوك، كما في قوله ﷺ : (إذا أنفق الرجل على أهله نفقةً يحتسبها فهو له صدقة) [٣]، وقوله ﷺ : (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة) [٤] .

ويظهر تطبيق هذا الشرط في السنة النبوية في مواضع منها : إشارات إلى إثبات المنافع أو نفيها أو اختلافها مقابل أداء السلوك ذاته من فئة إلى اخرى، تبعاً لاختلاف القصد عن تلك الفئات التي قامت بأداء السلوك الموحد، وذلك كما في قوله ﷺ : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [٥]، وقوله ﷺ : (الخيل لرجل اجرٌ ...، وعلى رجل وزرٌ، فأما الذي له اجر : فرجل ربطها في سبيل الله ...، ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي على ذلك وزرٌ)[٦].

هذا فيما يتعلق بإخلاص القصد، وأما الجزء الذي يتكامل معه، فهو موافقة الشرع (السلوك السوي)، فالسنة تشترط لحصول المنفعة الأخروية أو لإقرار شرعية المنفعة الدنيوية أن يكون السلوك المقابل لها موافقاً للشريعة، لا يتعارض مع اصولها ولا مع مقاصدها، ويظهر ذلك جلياً في قول النبي ﷺ : (من تصدق بعدل تمرة من كشب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١ / ٢١ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية، رقم ٥٣
(٤) المصدر نفسه، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، رقم ٤٣١ .
(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم ١ .
(٦) البخاري، الصحيح، كتاب المساقة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، رقم : ٢١٩٨ .

احدكم فلوة [١] حتى تكون مثل الجبل) [٢]، وقوله ﷺ : (وفي بضع احدكم صدقة، قالوا : أياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجرٌ ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزرٌ ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له اجر) [٣] .

وبذلك تظهر العلاقة الارتباطية (الشرطية) في السنة النبوية بين المنفعة من جهة والسلوك السوي المقبول من جهة اخرى .

ثالثاً : إتقان السلوك

من محددات المنفعة ذات العلاقة الأدائية (الهندسية) بالسلوك في السنة ضرورة القيام بأداء السلوك ضمن المواصفات والقياسات المبينة له في السياقات التي تعرض إلى معادلة المنفعة في مقابل السلوك .

وهذا جانب مهم، يبين نظرة السنة الجمالية المبنية على تحري الدقة وبذل أقصى الجهد، والإنتاج السليم، ومراعاة الحقوق، والضبط التطبيقي تحقيقاً لمفهومي الإتقان والإحسان، اللذين يفرضان حسن الأداء والارتقاء في الفعل المادي الدنيوي وفي الفعل الشرعي الأخروي على حد سواء، كما ننظر ذلك بجلاء في قوله ﷺ : (إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه) [٤]، وفي قوله ﷺ في مراتب الإسلام والإيمان والإحسان : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [٥] .

وبتتبع علاقة المنفعة بالإتقان باعتباره محدداً لها في السنة النبوية، يظهر ذلك مطلباً جلياً في تطبيقات عدة تضمنتها الاحاديث النبوية الشريفة ، كما في قوله ﷺ : (لا يتوضأ

(١) الفُلو : المهر .

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، رقم : ١٣٢١ .

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن أسم الصدقة ...، رقم : ١٦٧٤

(٤) الطبراني، المعجم الأوسط ، دار الحرمين، القاهرة، رقم : ٩٠٩، حسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم : ١٨٨٠ .

(٥) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، رقم : ٤٨ .

رجل فيحسن وضوؤه ويصلي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة حتى يصليها) [1]، وقوله ﷺ : (خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوؤهن وصلاتهن لوقتهن وأتم ركوعهن، وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهدٌ أن يغفر له) [2] .

وهذا المحدد من شأنه أن يصحح النظرة إلى المنفعة المترتبة على السلوك، وأنها لا تتعلق بمجرد الأداء، ولو كان الفعل تعبدياً، بل لابد من القيام بمطالب المنفعة وشروطها التي منها : تحقيق مواصفات السلوك، وهو جانب يُعنى بالأبعاد والاهداف المهارية التي تراعيها التربية الإسلامية .

رابعاً : الفروق الفردية

كان رسول الله ﷺ شديد المراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يُخاطب كل واحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فكان لا يعلمهم ما يعلم المنتهين، وكان يجيب كل سائل على سؤله بما يهمه ويناسب حاله [3] .

وحين نرجع إلى المعنى اللغوي للتربية نجد أن معانيها النمو والزيادة، ومنه منظور السنة النبوية للسلوك والمنفعة المترتبة عليه، منظور إنساني يتعامل مع الطبيعة الإنسانية بكل مكوناتها وسماتها وتغيراتها، ولذلك يراعي جميع العوامل الفطرية والمكتسبة التي تؤثر في طبيعة الأداء والفعل الإنساني ومستوياته، وهذا يدل على مراعاة السنة النبوية المطهرة لمبدأ الفروق الفردية واعتبارها له في الميدانين النظري والتطبيقي، قال ابو هريرة رضي الله عنه: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال : وما ذلك ؟ قالوا : يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم،

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم : ٣٣٤ .
(٢) أحمد، المسند، رقم : ٢٢٧٥٦ .
(٣) عبد الفتاح ابو غدة، الرسول المعلم، ص ٨١ .

ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ : (أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد افضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟) قالوا : بلى يا رسول الله، قال : (تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة) .

قال أبو صالح : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع اخواننا أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [1] .

وفي ميدان المنفعة والسلوك في السنة النبوية الشريفة تعمل الفروق الفردية كعامل بارز في تحديد مقدار المنفعة ومستواها ونوعها، مراعية بذلك جميع اشكال الفروق الفردية ذات الأثر في الأداء الإنساني ومعطياته .

فيظهر في السنة المطهرة اثر الفروق الفردية السلوكية في المنفعة كما في قوله رضي الله عنه : (من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يُصلي عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الاجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط) [2]، فكما يلحظ اختلفت المنفعة وتفاوت مقدارها ونوعها باختلاف مرحلة الأداء السلوكي، أي الفروق الفردية في مستويات أداء السلوك الواحد .

كما يظهر في السنة النبوية أثر الفروق الفردية الاقتصادية والاجتماعية، كما في قوله ﷺ: (افضل الصدقة، او خير الصدقة عن ظهر غنى) [3]، واثر الفروق الفردية العلمية كما في قوله ﷺحينما ذكر له رجلان احدهما عابد والآخر عالم، فقال : (فضل العالم على

(١) مسلم ،الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم : ١٣٧٥

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز، رقم : ٤٥ .

(٣) المصدر نفسه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير، رقم ١٧١٦ .

العابد، كفضلي على ادناكم) [1]، واثر الفروق الفردية المهارية، كما في قوله ﷺ (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران) [2] .

فهذه الجملة من الأحاديث تؤكد واقعية السنة النبوية وإنسانيتها في تقدير المنفعة، وتجعل عمل الفروق الفردية محدداً واضحاً ومعتبراً في تفاوت مستويات المنفعة تبعاً لاختلاف تلك الفروق الفردية بأشكالها المتنوعة .

خامساً : البيئة

يقصد بالبيئة هنا جميع الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية والشخصية التي يمكن أن يكون لها أثر في تقدير المنفعة .

وبعد تتبع ونظر في السنة النبوية الشريفة، تبين أنها تراعي عامل البيئة كما راعت العوامل السابقة باعتباره محدداً للمنفعة المترتبة على السلوك .

وقد يكون محدد البيئة مكانياً اجتماعياً، كما في ظروف أداء الصلاة وبيئتها، فقال ﷺ : (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) [3]

وقد يكون اجتماعياً، كما في قوله ﷺ حينما سألته امرأة : أيجزئ عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري ؟ فقال : (نعم لها اجران : أجر القرابة وأجر الصدقة) [4]، وقد يكون محدد البيئة اجتماعياً نفسياً كما في قوله ﷺ لأصحابه في ليلة الاحزاب وظرفها القاسي : (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة) [5]، وقد يكون محدد

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د . ط، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه، رقم ٢٦٠٩ .
(٢) مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر في القرآن، رقم ١٣٢٩ .
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم : ٦٠٩ .
(٤) المصدر نفسه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج، رقم : ١٣٧٣ .
(٥) مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد، باب غزوة الاحزاب، رقم : ٣٣٤٣ .

البيئة زمانياً، كما في قوله ﷺ لامرأة من الأنصار : (فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة) [1] .

سادساً : الفضل الرباني

في البحث المعمق لمحددات المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني في السنة النبوية المطهرة يمكن استظهار محدد متميز له أثره الواضح في تقرير نوع المنفعة ومقدارها، الذي بالإمكان تسميته بفضل الله تعالى او الفضل الرباني وهذا المحدد لا ينفى النظرة الإسلامية عن كون كل محددات المنفعة التي تؤثر في حصولها ايجابياً هي في الحقيقة من فضل الله تعالى، ولكن بالإمكان تخصيصه، باعتبار أنه عامل مؤثر في زيادة قيمة المنفعة رغم اثبات مستوى السلوك وتعادلة الادائي، ويظهر ذلك جلياً في قول النبي محمد ﷺ : (إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى، كمثل رجل استعمل عمالاً، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود، فقال : من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر ؟ فعملت النصارى، ثم انتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا : نحن اكثر عملاً واقل عطاء، قال : هل ظلمتكم من حقكم ؟ فقالوا، لا ،قال : فذاك فضلي أوتيه من شئت) [2]، ويعلق ابن حجر على قول النبي ﷺ في الرجل الذي أسلم فقاتل فقتل : (عمل قليلاً وأُجر كثيراً)، بقوله : وفي هذا الحديث أن الاجر الكثير قد يحصل بالعمل اليسير فضلاً من الله واحساناً [3] .

(١) المصدر نفسه، كتاب الحج، باب فضل العمرة، رقم : ٢٢٠١ .
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم : ٥٠٢١ .
(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٦ / ١٠٥ .

المطلب الثاني

المضامين التربوية في طبيعة العلاقة بين المنفعة والسلوك

أن نهوض الأمة ورقيها معقود بصحة التعليم وجودة التربية، والمناهج والطرائق البشرية مهما اوتيت من قوة واجتمع فيها من الخبرة فإنها تقف عاجزة عن تحقيق الكمالات، وعن التناغم مع الفطرة السوية، والسبب هو أن هذه المناهج لا تخلى من هوى بشري، أو نظرة ضيقة محدودة مع ضعف الشعور الداخلي المراقبة الذي هو بلا شك مؤثر كبير على سير العمل التعليمي والتربوي، لذا فإن من المهم والمهم جداً إدامة النظر والتأمل في الأساليب النبوية في التربية التعليم .

وبعد العرض التحليلي السابق لموقف السنة النبوية المطهرة من المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني، يمكن استجلاء أهم ما انطوت عليه من مضامين تربوية .

حظيت العملية التعليمية بمكوناتها المختلفة بعناية خاصة في منظور السنة النبوية من جهة ما قدمته من علاقة واضحة وقوية بين المنفعة والسلوك العلمي عموماً، كما تمت الاشارة إلى طرف من ذلك في التفصيل المتعلق بتقسيمات المنفعة وتفريدها، فمن ذلك : أن رتبت السنة منافع إيمانية ومعنوية عالية يحصلها العبد كالثناء من الله وملائكته لقاء السلوك التعليمي، وهذا من شأنه أن يعزز قدر القيمين بالعملية التعليمية، من معلمين ومتعلمين، فيحترم أهل العلم والمعرفة، وتعرف لهم مكانتهم، ويثنى عليهم بما هم أهله، ويرحب بهم، ويفسح لهم فسحة كريمة لائقة في مرافق المجتمع، ليجودوا عملهم ويعرضوا صنعتهم .

والواقع التعليمي اليوم يشير إلى ضرورة التفعيل الثقافي المجتمعي لهذه القيمة

الإسلامية التي كانت لا تغيب شمسها عن مؤسسات التعليم ووعي المجتمع المسلم المتحضر، وذلك بأن يُصار إلى مزيد من التثقيف بمكانة السلوك العلمي والقائمين به وبمدى ما يحصدونه من منافع علوية راقية تحتم على الإنسان في الارض أن يتطلع نحوها، ليقدم مزيداً من الثناء والتكريم والحفاوة لهذه الثلة من أهل العلم وطلبته في ميادينه المختلفة، لأنها من المؤشرات الاساسية في بدء الامة المسلمة استعادة قواها الحضارية .

وهذه العناية من السنة النبوية بقيمة تكريم السلوك العلمي تعلماً وتعليماً بما ترتبه عليه من منافع سامية، من شأنها أن تقود إلى ارتقاء المجتمع معرفياً، حيث يتحرك الفرد الجاهل باتجاه نزعة التغيير الايجابي، بأن يُقبل على ممارسة السلوك العلمي، رغبة في تحصيل تلك المنافع، فينبغي لمن استدل على استحسان الفضائل واستقباح الرذائل أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم [1] فمن تعلم القرآن عظمت قيمته ن ومن تعلم الفقه نبُل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم اللغة رق طبعه [2]، وبالمقابل يندفع أهل العلم إلى نشره وبذله للمتعلمين وللراغبين، إذ من واجبهم أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون [3] وكان خالد بن صفوان يقول : (أني لأفرح بإفادتي المتعلم، اكثر من فرحي باستفادتي من المعلم) [4]

ولم يكن شأنه هذا ليصير إليه لولا ما قدمته له السنة من منافع إيمانية لا تعدلها منافع اخرى، وفي ذلك يشير الماوردي بقوله : ((ثم له بالتعليم نفعان : أحدهما : ما يرجوه من

(١) الماوردي، علي، أدب الدنيا والدين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م، ص ٢٧ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦ .
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦ .
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٦ .

ثواب الله ...)) وساق على ذلك الأدلة ثم قال : ((والنفع الثاني : زيادة العلم وإتقان الحفظ)) [1] .

وفي هذا دلالة بينة على قوة المنافع الإيمانية والمعنوية التي جاءت في السنة النبوية الشريفة، ومفعوليتها الظاهرة، كدافع أساس من دوافع التعلم والتعليم والتي تتبناها النظرية التربوية الإسلامية، فمن المتفق عليه في الأوساط التربوية : أن المرء لا يتعلم إلا إذا كانت لديه دافعية التعلم [2]، فدراسة السلوك الإنساني تقتضي التعرف إلى الدوافع التي تستثيره وتحديدها لما لها من أهمية في كل من التعلم والأداء والاحتفاظ بالتعلم [3]

وهذا التصور يقود إلى ضرورة أن تكون الأهداف القلبية والوجدانية والمعنوية من بين الأهداف الاساسية التي يجب أن تتوخاها العملية التعليمية الإسلامية، وأن لا يلتفت إلى من يعرض عنها، فقد روج بعض التربويين بعض المفاهيم المغلوطة عن الأهداف القلبية، ملخصها أنها غير قابلة للتقويم [4]، بل تشكل الاهداف القلبية والوجدانية التي تستدعيها المنافع الإيمانية والمعنوية العمود الفقري للتربية الإسلامية، وبدونها يضل المنهاج بلا روح وبلا فاعلية [5]، وحتى يتسنى تفعيل ذلك وتطبيقه في العملية التعليمية، فلابد للقائمين على صياغة نظرية المنهاج التربوي الإسلامي من تبني خط الأهداف الإيمانية والقلبية والمعنوية، التي أفرد لأصولها الناشئة عنها قائمة عريضة من المنافع التي رتبتها السنة النبوية على السلوك الإنساني، وأن يكون ما يمكن أن يصطلح

(١) المصدر نفسه، ص ٥٧ .

(٢) عبد الله، عبد الرحمن صالح، المنهاج المدرسي، رؤية إسلامية، دار الياقوت، عمان، ط ٢، ٢٠٠٠ م، ص ١٢٠ .

(٣) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٤٩ .

(٤) عبد الله، عبد الرحمن صالح، الأهداف السلوكية في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣ م، ص ١٥ .

(٥) المصدر نفسه .

عليه (الاساس النفعي الإيماني) معتبراً ضمن أسس اختيار المحتوى التعليمي شريطة أن يكون متكاملاً معها متوافقاً مع معطياتها بحسب المعايير الإسلامية .

ومن المضامين التربوية التي تنطوي عليها نظرة السنة النبوية إلى المنافع المترتبة على السلوك ذات الصلة بالعملية التعليمية، تلك المتعلقة بأساليب التدريس وانشطتها، حيث تفيد قائمة المنافع الشمولية ضرورة أن يُقيم المدرس قاعدة طرائقه في التدريس وأساليبه على التحلي بحسن الخلق، سعياً إلى تحصيل منفعة محبة الله تعالى التي رتبتها على ذلك السنة النبوية، وهذا من شأنه أن يجعله رفيقاً بطلبته، وان يرحب بهم إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه، ويكرمهم إذا جلسوا إليه [1]، فقد كان من يقابل رسول اللهﷺ ولو لأول وهلة يجد عنده من الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال ما يجعل النفوس تنجذب إليه تأنس بحديثه ﷺ، روي في ذلك أن صفوان بن عسال جاء إلى النبي ﷺ فقال :يا رسول الله أني جئت أطلب العلم، فقال له النبي ﷺ : (مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب) [2]، كيف سيكون أثر هذا الترحيب وتلك الحفاوة في نفس صفوان، هل تراه يزهد في طلب العلم بعد ذلك ؟

لقد كان رسول الله ﷺ يستقبل الوفود ويحسن وفادتهم، ويتخذ لذلك لباساً خاصاً وخطيباً يخطب بين يديه إشعاراً منه بمزيد الاهتمام بهم، فلما أتى وفد عبد القيس رحب بهم ﷺ فقال : (مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى) [3] ولما قدم الاشعريون أهل اليمن قال رسول الله ﷺ : (أتاكم أهل اليمن هم أرق افئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة

(١) ابن جماعة، تذكرة المسامع، مكتبة رمادي، السعودية، بلا .، ص ١٠٧ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله، ١ / ١٥٥ .
(٣) البخاري، الصحيح، رقم : ٤٣٦٨ .

يمانية) [1]

والرفق واللين والرحمة سمات ثابتة في الهدي النبوي لا تكاد تفتقدها وانت تطالع السيرة النبوية ، ذلك أن التعليم يجب أن يكون بالرفق واللين وعدم التسلط وإظهار القوة [2] . فلقد جعل رسول الله ﷺ الرفق سبباً من اسباب الكمال والنجاح فعن عائشة رضي الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ : ((يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)) [3] .

لقد كان رسول الله ﷺ من رأفة والرحمة، وترك التعنت وحب اليسر، والرفق بالمتعلم، والحرص عليه وبذل العلم والخير له في كل وقت ومناسبة، بالمكان الأسمى والخُلق الأعلى قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨

كما تفيد قائمة المنافع كذلك، بأن يوزع المدرس من الحوافز والمكافآت التي يستخدمها في عملية التدريس وأنشطتها المختلفة، بحيث تمتد لتشمل المعنوية منها والمادية وما في سُلمها من درجات متفاوتة، كالمكافآت المادية العينية والهدايا الرمزية فيقدم المعلم للمتعلمين الممتازين هدايا عينية رمزية كالحلوى او بعض الادوات المدرسية أو الكتب المفيدة [4]، وكالمدح والثناء والتشجيع بالكلمة الطيبة، وقد عد التربويون المسلمون الأوائل المدح والثناء الاسلوب الأمثل والحافز الأقوى للتعلم، ولذلك طالبوا المعلم بالمبادرة به قبل غيره [5]، وكذلك الدعاء من المحفزات الفعالة في العملية التعلم في التربية

(١) المصدر نفسه، رقم : ٤٣٨٨ .

(٢) جان، محمد صالح، الثواب والعقاب في التربية والتعليم بين الأصالة والمعاصرة، جامعة ام القرى، مكة، ٢٠٠٣ م، ص ٢٩ .

(٣) مسلم، الصحيح، رقم : ٢٥٩٢ .

(٤) محمد صالح جان، الثواب والعقاب، ص ٣٥ .

(٥) النمر، عمر، الثواب والعقاب في التربية، مجلة البيان، لندن، العدد ١٣٧، ١٩٩٩ م، ص ٢٢ .

الإسلامية، الدعاء للطالب بالتوفيق كأن يقول المعلم للطالب الذي أجاب اجابة رائعة : اسأل الله لك التوفيق أو فتح الله عليك أو زادك الله علماً) [1]، فالتشجيع وتسليط الضوء على مكامن الكمال في النفس البشرية والإشادة بها منهج نبوي كريم، يُراد منه بعث النفس على الزيادة، وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، وهو مشروط بأن يكون حقاً، وأن يُومن جانب الممدوح، وأن يكون بالقدر الذي يحقق الهدف .

ومما لاشك فيه أن للمحفزات (المنافع) أثرها الفعال في العملية التعليمية فهي تعمل على تجديد نشاط الطلبة ودفعهم وتحفيزهم ورفع روحهم المعنوية نحو مزيد من التعلم والابداع والتفوق [2]، فالسلوك الذي يكون متبوعاً بالمكافئة أي السلوك الذي تتم اثابته يقوى ويتدعم، ويكون اكثر ميلاً للتكرار مستقبلاً [3] .

وهذا التنوع في المنافع أو الحوافز المراعاة في السنة تتيح للمدرس أن يختار منها ما يراه مناسباً وحال المتعلم وطبيعة شخصيته، أي مراعاة مبدأ الفروق الفردية في ذلك، وهو ما قرره البحث ايضاً كأحد محددات المنفعة في السنة النبوية، فإذا اردنا أن يزداد السلوك في تواتره وشدته أو حجمه فإننا بحاجة إلى أن نعززه مما يترتب علينا اختيار الاشياء التي يقدرها الأفراد إيجابياً كمعززات فالرياضي مثلاً يفضل العضوية في نادي رياضي، والعالم يفضل الكتب ... تذكر هذه الكرة عندما تحاول العثور على معززات لتلميذ معين، فقد تفيد مسحة رأس طفل يحتاج إلى التقبل كمعزز، وربما لا يكون هذا السلوك معززاً عند طفل أخر [4] ومن هما يدرك الباحث في موقف السنة النبوية المطهرة من النفعة المترتبة

(١) محمد صالح جان، الثواب والعقاب، ص ٣٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦ .

(٣) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٤٩ ؛ وينظر : صالح، قاسم حسين، نظريات معاصرة في علم النفس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط ١، ١٩٩٨ م، ص ١٥٦ .

(٤) ابو جادو، صالح محمد، علم النفس التربوي، دار الميسرة، عمان، ط ٢، ٢٠٠٠ م، ص ١٧٩ .

على السلوك الإنساني ذلك التعدد فيها والتنوع في العوامل (المحددات) المؤثرة فيها .

وتقدم القراءة المتعمقة لعلاقة المنفعة بالسلوك في السنة النبوية وتحديداً العلاقة الزمنية تصوراً واضحاً لشكل العلاقة الزمنية بين المحفزات والسلوك التعليمي يقع في نمطين :

النمط الأول منها يمكن أن يطلق عليه العلاقة التعاقبية وهو مأخوذ من استحباب إعطاء الأجير أجره عقب عمله مباشره، أي أن يعقب المحفز حدوث السلوك فالقيمة الثوابية للمكافأة في النفس تكون اكبر إذا ما تم الحصول على المكافأة عقب حدوث السلوك مباشرة [1] .

وأما شكل النمط الثاني فيظهر فيما يمكن أن يطلق عليه العلاقة المستقبلية، وهو مما لا تحفل به التربية الحديثة كثيراً، إلا إنه له اعتبار وشأن في التربية الإسلامية، أخذاً من مقررات العلاقة بين المنفعة والسلوك وتقسيمات المنفعة في السنة النبوية التي أشارت إلى المنافع الآجلة والمنافع الأخروية كما تقدم ذلك، لذا منت الممكن أن يحفز الإنسان لتقبل سلوك متوقع إذا قدم له على انه يحقق له منفعة أو مكافأة، مثل : أن يحاول المدرسون تحفيز تلاميذهم الكارهين لتعلم مقرر تعليمي، على الأداء التعليمي، وذلك بإبلاغهم أن الدرس الذي يجدونه صعباً أو مملاً اليوم، سيكون مفيداً لهم يوماً ما في حياتهم المستقبلية [2]، بل وتذهب معطيات النظرية التربوية الإسلامية إلى أبعد من ذلك حينما تدفع بجوانب العملية التعليمية إلى مزيد من الإتقان والارتقاء، اعتماداً على ما ينتظر القائمين بها من حوافز ومنافع آخروية جنباً إلى ما ينالونه من مكافأت دنيوية عاجلة .

إن تفحص المنافع التي قررتها السنة النبوية الشريفة إزاء السلوك كما تقدم عرضها لتؤكد اتساقها مع الطبيعة الإنسانية الواقعية، كما هي في التصور الإسلامي، فمكوناتها

(١) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ٢٣٧ .

(٢) حيدر، فؤاد، الشخصية في الإسلام والفكر الغربي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ٦٤ .

الأساسية هي الروح والجسم، وبتفاعلهما لا بمجموعهما المجرد تظهر الشخصية الإنسانية وتتحدد معالمها في النظرية التربوية الإسلامية، لتشمل كافة الجوانب الإنسانية : النفسية والروحية والعقلية والجسمية وغيرها، كما جاءت السنة النبوية بقائمة منافع تغطي هذه الجوانب جميعاً في إشارة واضحة إلى تناسق التصور الإسلامي، وهذا التوحد في طبيعة المنافع وطبيعة النفس الإنسانية هو الذي يفسر لنا القصور أو الانحياز أو التشابه والاختلاف الذي قد يظهر للباحث في دراسته لموقف النظريات التربوية الوضعية والسماوية الاخرى وأفكارها التي تعتنقها إزاء كل من طبيعة المنفعة وعلاقتها في السلوك الإنساني .

وهذا الانسجام بين خريطة المنافع في السنة النبوية والطبيعة الإنسانية هو الذي تتكىء عليه النظرية التربوية الإسلامية في رسم اهدافٍ تربوية شمولية متجاوبة لأقصى حد ممكن مع مكونات الذات الإنسانية وتفاعلاتها وغايات الرسالة الإسلامية، فانطلاقاً من مبدأ أن الطبيعة الإنسانية متكاملة وشاملة تحتوي على جميع جوانب الإنسان من عقل وجسم وروح ونفس وقلب، نجد أن الأهداف التربوية في المدرسة الإسلامية ايضاً شاملة تهدف إلى نمو كامل وشامل لهذه المجالات، إضافة إلى جود أهدافٍ دنيوية وأهداف أخروية، أنطلاقاً من مبدأ ضرورة التكامل ما بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة [1] .

في حين أن التربية الحديثة الغربية رغم تفوقها على المفاهيم التربوية غير الإسلامية في فهم طبيعة الإنسان إلا أنها لا تزال قاصرة في فهمها، حيث أهملت الجانب الروحي في الإنسان، وتجاهلها للروح هو سبب فشلها في تحقيق السعادة للإنسان [2] .

(١) لبابنة، أحمد حسن، مفهوم المدارس الفلسفية للطبيعة الإنسانية وانعكاساتها على العملية التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٢ م، ص ١١٧ .

(٢) خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام، دراسة تحليلية، ٢٠٠٣ م، بلا . ط، ص ٧١ .

ومن جانب اخر فإن خريطة المنافع التي قررتها السنة النبوية مقابل السلوك، تؤكد على أنها تلبي الحاجات الإنسانية التي تنبثق اصلاً من الطبيعة الإنسانية في تصورها السليم، فهناك منافع معنوية ظاهرة وباطنة تلبي الحاجات النفسية، ومنافع مادية مختلفة تلبي الحاجات الفسيولوجية ومنافع اجتماعية تلبي الحاجات الذاتية والاجتماعية، ومنافع علمية تلبي حاجات التعلم، والأهم من ذلك : أن هناك منافع أخروية وآجلة تلبي الحاجات الفطرية والدينية، وهذه التي تظهر الفارق الاساس والمهم بين سلم الحاجات في النظرية التربوية الإسلامية وسلم الحاجات عند ماسلو[1] حيث خلا منها كلياً فضلاً عن أن يجعله تحيل المرتبة الأساس .

وهذه العلاقة بين المنافع وسلم الحاجات الإنسانية تتطلب من مصممي المنهاج التربوي الإسلامي أن يكونوا على وعي في المدخلات الأساس لمكونات المنهاج، بحيث تضم التنوع اللازم في المنافع المشروعة ومطالبها، لا سيما تلك المتعلقة بالجانب الإيماني أو العقدي لتأتي ملبية لحاجات النفس الإنسانية بما يتوافق مع معطيات الرسالة الإسلامية وغاياتها .وكذلك الأمر في حالة صياغة علماء النفس والسلوك في المدرسة التربوية الإسلامية للمعززات تمهيداً لتطبيقها في العملية التربوية فلا يجوز الاقتصار على القائمة الأرضية مهما تنوعت مغفلة القائمة الاخروية، وإلا وقعت في حالة التصور التي تعاني منها مدارس علم النفس الوضعية (الغربية) والمتأثرين بها من رواد علم النفس في الفكر العربي تلك التي تصادر المعززات الاخروية أو الآجلة التي تشكل العمود الفقري في العملية التربوية الإسلامية .

(١) تقوم نظرية ماسلو على تحقيق الحاجات الخمس : الحاجة المادية، وحاجة الامن، والحاجات الاجتماعية، وحاجات احترام الذات، وحاجات تحقيق الذات، ينظر : صالح قاسم، نظريات معاصرة في علم النفس، ص ١٠٩ ١١٤ .

فعلى سبيل المثال ((يرى سولزر ورفاقه، أن هناك خمسة أشكال من المعززات هي: المعززات الغذائية والمعززات المادية والمعززات الرمزية والمعززات الاجتماعية)) [1]، فهي تخلو من المعززات التي تتعلق بالجانب الإيماني والأخروي، بينما في تراثنا التربوي الإسلامي وفي ظلال حضارتنا العلمية والفكرية الإسلامية لا يمكن أن نجد تفسيراً واقعياً لتلك الجهود الجبارة المتعلقة بكافة جوانب العملية التربوية والتعليمية إلا باستدعاء تلك المعززات الأخروية التي شكلت ذراعاً ضارباً في منظومة الدافعية الإسلامية للتعلم والتعليم والكتابة والتأليف، وهذا يعني من وجه آخران خريطة المنافع في منظور السنة النبوية قد وسعت في مجال الدوافع والمعززات وجعلته اكثر شمولية وواقعية عما كانت عليه الحضارات الإنسانية في الماضي، وما آلت إليه الحضارات المادية اليوم .

(١) الزغول، عماد، نظريات التعلم، دار الشروق، عمان، ط ١، ٢٠٠٣ م، ص ٢٠٢ .

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

- **وفي خاتمة هذا البحث تتبين لنا العديد من النتائج منها :**

١- السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم من مصادر التشريع الإسلامي، وهي في حقيقتها وحي الله تعالى إلى رسوله الكريم محمد ﷺ، ويفهمها العلماء اصطلاحاً على أنها ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وقد تنوعت القراءات العلمية للسنة النبوية طوال مسيرة الفكر الإسلامي وحضارة المسلمين، تنوعاً ذا ارتباطات ثقافية وميدانية، صدرت عن رؤى واعية، واتصال وثيق بالحياة، ومعالجة شمولية واقعية، تصدى لها حلية هذه الامة من أهل العلم والمصلحين ورواد المعرفة، فجاءت تلك القراءات النظرية والتطبيقية .

٢- جاء لفظ السلوك اصطلاحاً مقابلاً للفظ العمل في السنة النبوية الشريفة وبدلالة شمولية على جميع الاستجابات الظاهرة والباطنة التي تصدر عن الإنسان .

٣- حددت السنة النبوية مصادر المنفعة بالمصدر الرباني وبالمصدر البشري والكوني، وأكدت ارتباط المنفعة الوثيق بالقيم الإسلامية وتضمنت السنة النبوية محددات المنفعة التي شملت صحة المعتقد والسلوك السوي المقبول، وإتقان السلوك، والفروق الفردية، والبيئة، والفضل الرباني .

٤- أكدت السنة النبوية على العلاقة الواضحة بين المنفعة والسلوك والتي ظهرت جوانبها في تأثر المنفعة بالأداء السلوكي ومستوياته ونوعه وكمه .

٥- أظهرت السنة النبوية رؤيتها المتكاملة لأنواع المنافع مقابل أنواع السلوك وذلك من خلال تفريدها .

٦- قدمت المضامين التربوية ذات الصلة بالعملية التعليمية توعيةً لضرورة تطوير

دليل المعلم والمنهاج التعليمي لتقوى امكاناته التطبيقية في استخدام الثواب والمنافع المقررة في السنة النبوية في العملية التدريسية .

٧- أظهرت القراءة المعمقة لدلالات التربوية والفكرية المتضمنة في رؤية السنة النبوية للمنفعة وعلاقتها بالسلوك الإنساني، معطياتها الاصيلة في هذا الجانب، وتمايزها الواضح فيه، مقارنةً بمعطيات الفكر الغربي المادي .

- **اما اهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة ما يلي :**

١- الحاجة إلى القراءات المعمقة لنصوص السنة النبوية المطهرة المتصلة بالعلوم التربوية في سبيل تقديم معالجات علمية ورؤية واضحة للنظرية التربوية وأمكاناتها التطبيقية .

٢- استخدام معلمي المدارس للمنافع الإيمانية والمعنوية في تعزيز العملية التدريسية .

٣- تعزيز المنهج الدراسي بأمثلة كثيرة من السنة النبوية .

قائمة المصادر والمراجع

- بعد كتاب الله عزوجل :

١. أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥ م .

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧ م .

٣. الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د . ط .

٤. التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ط ١، ٢٠٠٥ م .

٥. جان، محمد صالح، الثواب والعقاب في التربية والتعليم بين الأصالة والمعاصرة، جامعة ام القرى، مكة، ٢٠٠٣ م .

٦. ابو جادو، صالح محمد، علم النفس التربوي، دار الميسرة، عمان، ط ٢، ٢٠٠٠ م .

٧. ابن جماعة، تذكرة المسامع، مكتبة رمادي، السعودية، بلا .

٨. حيدر، فؤاد، الشخصية في الإسلام والفكر الغربي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م .

٩. الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ٢٠٠٣ م .

١٠. خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام، دراسة تحليلية، ٢٠٠٣ م، بلا . ط .

١١. أبو داود، سليمان، السنن، دار الفكر، د . ط .

١٢. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٢ م .

١٣. الزغول، عماد، نظريات التعلم، دار الشروق، عمان، ط ١، ٢٠٠٣م.

١٤. سليمان، حسين حسن، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م .

١٥. صالح، قاسم حسين، نظريات معاصرة في علم النفس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط ١، ١٩٩٨ م .

١٦. الطبراني، المعجم الأوسط ، دار الحرمين، القاهرة .

١٧. عبد الله، عبد الرحمن صالح، الأهداف السلوكية في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣ م .

١٨. عبد الله، عبد الرحمن صالح، المنهاج المدرسي، رؤية إسلامية، دار الياقوت، عمان، ط ٢، ٢٠٠٠ م .

١٩. العطاس، عبد الله بن أحمد، مفهوم السلوك الخُلقي، جامعة ام القرى، معهد البحوث العلمية، مكة، ط ١، ٢٠٠٥ م .

٢٠. علي، علي أحمد، أساسيات سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، القاهرة، بلا .

٢١. ابو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م .

٢٢. ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس اللغوية، تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م .

٢٣. ابن منظور، محمد، لسان العرب، تحقيق : عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا .ط .

٢٤. لبابنة، أحمد حسن، مفهوم المدارس الفلسفية للطبيعة الإنسانية وانعكاساتها على العملية التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٢ م .

٢٥. الماوردي، علي، أدب الدنيا والدين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م

٢٦. مسلم، بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، د، ط .

٢٧. ابن منظور، محمد بن مكرم ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي

(ت : ٧١١ هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤ هـ)، ٢ / ٣٢٧ .

٢٨. النمر، عمر، الثواب والعقاب في التربية، مجلة البيان، لندن، العدد ١٣٧، ١٩٩٩ م .

٢٩. النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق : خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م .